تجربة حز..ب الله في بناء الصمود المجتمعي

قراءة تحليلية في الأبعاد النفسية والأجتماعية وإمكانات الإفادة

"دراسة تحليلية"

بقلـــم
مركز الفيض العلمي لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

المقدمة

تُعدّ دراسة تجارب المجتمعات التي واجهت ظروفاً قاسية واستطاعت الحفاظ على تماسكها الداخلي مدخلاً مهماً لفهم آليات الصمود الإنساني، ومن بين هذه التجارب تبرز تجربة حZب الله في جنوب لبنان، بوصفها نموذجاً مركباً يجمع بين البعد الاجتماعي والنفسي والمؤسساتي في بناء بيئة مقاومة قادرة على الاستمرار رغم التحديات، ولا تقتصر أهمية هذه التجربة على سياقها المحلي، بل تمتد لتفتح أفقاً تحليلياً أمام مجتمعات أخرى، ومنها المجتمع العراقي، لفهم كيفية تحويل المعاناة إلى طاقة بنّاءة.

أولاً: الإطار التاريخي والاجتماعي لبيئة المقاومة

نشأت بيئة المقاومة في جنوب لبنان ضمن سياق تاريخي معقد وممتد، لم يكن وليد لحظة واحدة، بل تشكّل عبر تراكم طويل من الحروب والصراعات، بدءاً من اجتياح لبنان 1982، مروراً بمرحلة الاحتلال" الإسرائيلي" لجنوب لبنان، وصولاً إلى حرب تموز 2006، ثم التوترات والمواجهات المتقطعة التي استمرت لاحقاً، وانتهاءً بالتصعيدات الأخيرة التي شهدتها المنطقة في السنوات القريبة.

هذا الامتداد الزمني للصراع خلق واقعاً اجتماعياً خاصاً، حيث عاش السكان في ظل تهديد دائم تمثل في التهجير، وتدمير البنى التحتية، وضعف الخدمات الأساسية، فضلاً عن حالة عدم الاستقرار المزمنة، ومع ذلك، فإن اللافت في هذه التجربة هو أن هذه الظروف القاسية لم تؤدِّ إلى تفكك المجتمع أو انهياره، بل أسهمت- على نحو تراكمي- في بلورة هوية جمعية متماسكة، يمكن توصيفها بهوية **"المجتمع الصامد".**

وقد تجلت هذه الهوية في مجموعة من الخصائص الجوهرية، منها:

1. التمسك العميق بالأرض بوصفها امتداداً للذات والانتماء، لا مجرد حيز جغرافي.
2. الإحساس بالتهديد المشترك، الذي أسهم في تقوية الروابط الاجتماعية وتقليل النزعات الفردية.
3. إعادة تعريف البقاء اليومي بوصفه فعلاً مقاوماً، وليس مجرد حالة اعتيادية.

وتُظهر الشواهد التاريخية أن مرحلة الاحتلال الطويل لم تُنتج فقط معاناة آنية، بل أسهمت في بناء "خبرة جمعية" في التكيف مع الأزمات، حيث استمر السكان في ممارسة حياتهم اليومية من تعليم وزراعة وتواصل اجتماعي، رغم المخاطر المستمرة.

وقد شكّل عام 2000، مع انسحاب القوات "الإسرائيلية"، محطة مفصلية في هذا السياق، إذ كشفت عودة السكان السريعة إلى قراهم المدمرة عن مستوى عالٍ من التماسك الاجتماعي والوعي الجمعي، فلم تكن هذه العودة مدفوعة فقط بالحاجة الاقتصادية، بل كانت تعبيراً عن ترسيخ عميق لقيمة الأرض والانتماء، وعن إيمان عملي بجدوى الصمود، كما أن التجارب اللاحقة، ولا سيما خلال حرب تموز 2006 وما تبعها من مواجهات وتصعيدات، وصولاً إلى الأحداث الأخيرة، أظهرت أن هذا المجتمع لم يعد يتعامل مع الحرب بوصفها صدمة طارئة، بل كجزء من واقع مُدار بوعي، فقد بدت الاستجابات المجتمعية أكثر تنظيماً، سواء في عمليات النزوح المحدود، أو في شبكات الإيواء، أو في استمرار تقديم الخدمات، مما يعكس انتقال المجتمع من مرحلة رد

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

الفعل إلى مرحلة الجاهزية النفسية والاجتماعية المسبقة.

وعليه، يمكن القول إن بيئة المقاومة في جنوب لبنان لم تتشكل فقط تحت ضغط الحرب، بل أُعيد إنتاجها عبر التفاعل المستمر مع الأزمات، حيث تحولت المعاناة المتكررة إلى عامل بناء للهوية، وأصبح الصمود سمة بنيوية في تكوين المجتمع، لا مجرد استجابة ظرفية.

ثانياً: إدارة الأزمات وبناء القدرة على التكيّف

تُبرز حرب تموز 2006 نموذجاً تطبيقياً متقدّماً لقدرة المجتمع في جنوب لبنان على إدارة الأزمات الكبرى ضمن ظروف شديدة التعقيد، فقد شهدت تلك المرحلة نزوحاً واسعاً طال مئات الآلاف، إلى جانب دمار كبير في البنى التحتية والخدمات، إلا أن الاستجابة المجتمعية لم تتجه نحو الفوضى أو التفكك، بل اتسمت بدرجة لافتة من التنظيم والتكافل، ما يعكس وجود خبرة تراكمية سابقة في التعامل مع الأزمات.

وتتجلى عناصر القوة في هذه المرحلة في عدة مستويات مترابطة:

1. **استجابة مجتمعية سريعة لاحتواء آثار النزوح:** حيث تحركت العائلات والمجتمعات المحلية بشكل شبه تلقائي لاستيعاب النازحين، فتحولت المنازل والمدارس والمساجد إلى فضاءات إيواء مؤقتة، هذه الاستجابة لم تكن عشوائية، بل عكست نمطاً راسخاً من التضامن الاجتماعي، قائم على إدراك مشترك بأن الأزمة جماعية وليست فردية.
2. **دور فاعل للمؤسسات الأهلية والخدمية:** لعبت المؤسسات الاجتماعية والتربوية والصحية دوراً محورياً في تنظيم المساعدات وتوفير الحد الأدنى من الخدمات، مما أسهم في تقليل حدة الارتباك، وقد تميز هذا الدور بالمرونة والقدرة على التحرك السريع، وهو ما يشير إلى وجود بنية مؤسسية مهيأة مسبقاً للتعامل مع الطوارئ.
3. **خطاب عام يعزز الصمود بدل الانهيار:** أسهم الخطاب الإعلامي والاجتماعي في توجيه الوعي الجمعي نحو الثبات، من خلال التركيز على معاني التحمّل والتكافل، وتجنّب نشر الهلع أو الإحباط، وهذا البعد مهم، إذ إن إدارة الأزمات لا تقتصر على الجانب المادي، بل تشمل أيضاً إدارة الحالة النفسية للمجتمع.
4. **استمرارية جزئية للحياة اليومية:** رغم شدة الحرب، استمرت بعض مظاهر الحياة (التعليم غير الرسمي، الأنشطة الاجتماعية البسيطة)، ما ساعد في الحفاظ على التوازن النفسي، ومنع الإحساس بالانهيار الكامل.

إن هذه المؤشرات مجتمعة تدل على وجود ما يمكن تسميته بـ**"بنية صمود مجتمعي"**، وهي بنية لا تُبنى في لحظة الأزمة، بل تتشكل عبر تراكم الخبرات والتجارب السابقة، كما تكشف هذه التجربة عن انتقال المجتمع من مرحلة رد الفعل العفوي إلى مرحلة الإدارة الواعية للأزمات، حيث يصبح التعامل مع الصدمات أكثر تنظيماً وأقل كلفة نفسية واجتماعية.

وعليه، فإن القدرة على التكيّف في هذا السياق لم تكن مجرد استجابة ظرفية، بل مهارة جماعية مكتسبة، قائمة على التفاعل بين الوعي الاجتماعي، والدعم المؤسسي، والتماسك الثقافي، وهو ما منح المجتمع قدرة نسبية على امتصاص الصدمات وإعادة التوازن خلال فترات زمنية أقصر.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

ثالثاً: البعد النفسي في بناء الإنسان المقاوم

يُعدّ البناء النفسي أحد أهم مرتكزات هذه التجربة، إذ لم يُترك الإنسان لمواجهة الضغوط بصورة عفوية أو فردية، بل جرى تشكيل وعيه ضمن منظومة قيمية وثقافية متكاملة، أسهمت في إنتاج شخصية قادرة على التحمّل والتكيّف والعمل ضمن إطار جمعي منظم، وفي سياق تجربة حZب الله، يتضح أن هذا البناء لم يكن نتاج لحظة طارئة، بل حصيلة تراكم طويل من التربية الاجتماعية والتجارب الميدانية.

ومن أبرز ملامح هذا البناء النفسي:

1. **إعادة تأطير المعاناة:** حيث لا يُنظر إلى الألم بوصفه خسارة مطلقة، بل يُعاد تفسيره ضمن سياق أوسع يمنحه معنى وقيمة. فالمعاناة تتحول إلى عنصر من عناصر الهوية، وإلى تجربة ذات دلالة رمزية تعزز الإحساس بالغاية

شاهد تطبيقي: استمرار إحياء المناسبات المرتبطة بالخسائر البشرية بأسلوب يعزز المعنى والقيمة، لا الحزن المجرد، مما يسهم في تحويل الذاكرة المؤلمة إلى طاقة معنوية.

2. **تعزيز الصبر الاستراتيجي:** لا يُفهم الصبر هنا بوصفه خضوعاً أو سكوناً، بل كأداة واعية لإدارة الزمن والضغوط. فالفرد يُدرّب نفسياً على تحمّل الإحباطات المرحلية دون فقدان الهدف البعيد.

الدلالة: هذا النمط من الصبر يقلل من ردود الفعل الانفعالية، ويمنح المجتمع قدرة على الاستمرار في ظروف طويلة الأمد دون استنزاف نفسي سريع.

3. **ترسيخ الهدف الجمعي:** يُعاد تشكيل وعي الفرد بحيث يرى ذاته جزءاً من مشروع أكبر، ما يخفف من مركزية "الأنا" لصالح "نحن".

شاهد اجتماعي: في أوقات الأزمات، يتقدّم السلوك الجماعي (الإيواء، الدعم، المشاركة) على المصالح الفردية، وهو ما يعكس عمق هذا الترسّخ النفسي.

4. **التطبيع مع التهديد وإدارته نفسياً:** نتيجة لتكرار الأزمات، لم يعد الخطر يُنتج حالة شلل، بل أصبح جزءاً من الواقع المُدار.

الدلالة: هذا لا يعني غياب الخوف، بل القدرة على ضبطه وتوجيهه، بحيث لا يتحول إلى عامل انهيار.

5. **تعزيز الشعور بالقدرة:** الفرد أنه ليس ضحية مطلقة، بل فاعل يمتلك دوراً، مهما كان بسيطاً، في مواجهة التحديات. وهذا الإحساس يُعدّ عاملاً أساسياً في الحفاظ على التوازن النفسي.

وقد أسهمت هذه العناصر مجتمعة في خلق حالة من التوازن النفسي النسبي داخل المجتمع، حيث يتم احتواء الضغوط بدلاً من الانهيار تحت وطأتها، كما يمكن فهم هذا النموذج في ضوء مفاهيم علم النفس الحديث، مثل "المرونة النفسية (Resilience)"، التي تشير إلى قدرة الأفراد والمجتمعات على التعافي والتكيّف الإيجابي رغم الصدمات.

وعليه، فإن البعد النفسي في هذه التجربة لا يقل أهمية عن أي بعد آخر، بل يمثل الأساس الذي تقوم عليه بقية عناصر الصمود، إذ لا يمكن لأي مجتمع أن يحافظ على تماسكه في ظل الأزمات المتكررة ما لم يمتلك بنية نفسية قادرة على إعادة إنتاج الأمل والمعنى بصورة مستمر.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

رابعاً: دور المؤسسات في ترسيخ الصمود

لم يكن الصمود المجتمعي في جنوب لبنان نتاجاً تلقائياً أو عفوياً، بل جاء ثمرة عمل مؤسسي منظم وممتد، أسهم في تحويل القيم إلى ممارسات، والأفكار إلى سلوكيات يومية، وفي سياق تجربة حZب الله، يتضح أن المؤسسات لم تؤدِّ دوراً خدمياً فحسب، بل اضطلعت بوظيفة بنائية عميقة في تشكيل الإنسان والمجتمع معاً.

وقد شمل هذا العمل المؤسسي مجالات متعددة ومتكاملة، من أبرزها:

1. **المؤسسات التربوية وتعزيز الهوية والانتماء:** لعبت المدارس والمراكز التعليمية دوراً محورياً في غرس قيم الانتماء والوعي الجمعي، من خلال المناهج والأنشطة والبيئة التربوية. ولم يقتصر دورها على نقل المعرفة، بل تعداه إلى بناء شخصية متماسكة، تدرك موقعها ضمن مجتمعها، وتستوعب التحديات التي تواجهه.

الدلالة: التعليم هنا يتحول من وظيفة معرفية إلى أداة لصناعة الوعي والصلابة النفسية.

2. **المؤسسات الاجتماعية وشبكات الأمان:** أسهمت الجمعيات والهيئات الاجتماعية في توفير دعم مستمر للفئات المتضررة من الحروب، سواء عبر المساعدات المباشرة أو عبر برامج الرعاية طويلة الأمد.

شاهد تطبيقي: سرعة تنظيم الإغاثة وإيواء النازحين خلال الأزمات، مما خفف من حدة الانهيار الاجتماعي، وأبقى الأفراد ضمن دائرة الاحتواء المجتمعي.

3. **الأنشطة الثقافية وإعادة إنتاج الوعي الجمعي:** لعبت الفعاليات الثقافية والدينية والاجتماعية دوراً في ترسيخ السردية المشتركة، وتعزيز القيم المرتبطة بالصمود والتكافل.

الدلالة: الثقافة هنا لا تُمارَس بوصفها ترفاً، بل بوصفها أداة لإعادة تشكيل الوعي، وربط الأجيال بخبرة المجتمع وتاريخه.

4. **التكامل بين المؤسسات:** ما يميز هذه التجربة هو عدم عمل هذه المؤسسات بشكل منفصل، بل ضمن شبكة مترابطة، حيث يدعم التعليمُ الجانبَ الاجتماعي، وتُعزّز الثقافةُ البعدَ النفسي، وتتكامل الخدمات في إطار رؤية عامة.

الأثر: هذا التكامل يمنع التشظي، ويخلق بيئة مستقرة نسبياً حتى في ظل الأزمات.

5. **المرونة المؤسسية في أوقات الأزمات:** أظهرت هذه المؤسسات قدرة على التكيّف السريع مع الظروف الطارئة، من خلال تحويل وظائفها بما يتناسب مع الحاجة (كالتحول من التعليم التقليدي إلى الدعم النفسي أو الإغاثي عند الضرورة).

وتشير هذه المعطيات إلى حقيقة أساسية مفادها أن بناء الإنسان لا ينفصل عن بناء المؤسسة، وأن العلاقة بينهما علاقة تفاعلية، فالمؤسسات القوية تنتج إنساناً واعياً وقادراً، والإنسان الواعي بدوره يعزز استمرارية هذه المؤسسات وتطورها. وفي المقابل، فإن غياب البناء المؤسسي أو ضعفه يؤدي إلى تفكك الجهود الفردية، ويجعل الصمود حالة مؤقتة غير قابلة للاستدامة.

وعليه، فإن التجربة تكشف أن الصمود الحقيقي ليس مجرد موقف نفسي أو رد فعل ظرفي، بل هو نتاج بنية مؤسسية راسخة، تُدار بوعي، وتُبنى على مدى زمني طويل.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

خامساً: ثقافة الجماعة والتكافل الاجتماعي

يُعدّ تغليب منطق الجماعة على النزعة الفردية أحد الركائز العميقة في بنية الصمود داخل مجتمع جنوب لبنان، حيث لا يُنظر إلى المجتمع بوصفه مجرد تجمّع أفراد، بل بوصفه كياناً متكاملاً تتداخل فيه المصالح والمسؤوليات، وفي سياق تجربة حZب الله، برز هذا البعد بوصفه عاملاً حاسماً في تقوية التماسك الداخلي، خصوصاً في أوقات الأزمات.

وتتجلى هذه الثقافة في مجموعة من الممارسات والسلوكيات الاجتماعية الراسخة، منها:

1. **استعداد الأفراد لتقاسم الموارد في أوقات الأزمات:** حيث يظهر ميل واضح لدى الأفراد لتقاسم ما يملكونه مع الآخرين، سواء على مستوى السكن أو الغذاء أو الخدمات الأساسية.

شاهد واقعي: خلال حرب تموز 2006 وبعدها تحوّلت العديد من المنازل إلى مراكز إيواء للنازحين، دون انتظار تدخل رسمي، ما يعكس ثقافة متجذرة في التضامن.

2. **تحوّل العلاقات الاجتماعية إلى شبكات دعم فاعلة:** لا تقتصر العلاقات الاجتماعية على البعد العاطفي، بل تتحول إلى منظومات دعم حقيقية تعمل عند الحاجة.

الدلالة: القرابة، والجوار، والانتماء المحلي تصبح أدوات تنظيم غير رسمية تُسهم في إدارة الأزمات وتقليل آثارها.

3. **انخفاض مستويات التفكك الاجتماعي:** مقارنة ببيئات أخرى تعرضت لظروف مشابهة، يلاحظ وجود درجة أقل من التفكك أو الصراعات الداخلية، نتيجة لوجود قواسم مشتركة تعزز وحدة المجتمع.

التحليل: الإحساس بالتهديد المشترك يسهم في تقليل النزاعات الثانوية، ويعيد ترتيب الأولويات لصالح البقاء الجماعي.

4. **ترسيخ مفهوم "المسؤولية المشتركة":** حيث يشعر الفرد بأنه مسؤول عن غيره، وليس فقط عن ذاته أو أسرته، ما يعزز من روح المبادرة والعمل التطوعي.

الأثر: هذا الشعور يقلل من الاعتماد الكامل على الدولة أو المؤسسات، ويمنح المجتمع قدرة ذاتية على التكيّف.

5. **تحويل التكافل إلى قيمة معيارية:** أي أن التكافل لا يُنظر إليه كعمل استثنائي أو بطولي، بل كواجب اجتماعي متوقع، يخرج من دائرة الاختيار إلى دائرة الالتزام الأخلاقي.

إن هذه الثقافة الجماعية تسهم بشكل مباشر في تعزيز قدرة المجتمع على الاستمرار، إذ تقلل من الشعور بالعزلة، وتحدّ من الانهيار النفسي الفردي، عبر إحاطة الفرد بشبكة دعم متماسكة. كما أنها تُنتج نوعاً من "الأمان الاجتماعي البديل"، الذي يعوّض نسبياً عن أي قصور في البنى الرسمية.

وعليه، يمكن القول إن ثقافة الجماعة ليست مجرد سمة اجتماعية في هذه التجربة، بل هي آلية دفاع مجتمعي متقدمة، تسهم في تحويل الأزمات من تهديد وجودي إلى تحدٍّ قابل للإدارة ضمن إطار جماعي متكامل.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

سادساً: إمكانات الإفادة في السياق العراقي

يمتلك العراق رصيداً ثرياً من الخبرات القاسية (حروب، نزوح، أزمات اقتصادية)، لكن تحويل هذا الرصيد إلى مشروع بناء مستدام يتطلب الانتقال من الذاكرة المؤلمة إلى سياسات وبرامج قابلة للتطبيق، وفي ضوء ما تقدمه تجربة حزب الله من دروس في بناء الصمود، **يمكن اقتراح حزمة إجراءات عملية موزعة على أربعة مسارات مترابطة:**

1. تطوير برامج تربوية تركز على الصلابة النفسية

الفكرة: نقل "المرونة النفسية" من مفهوم نظري إلى مهارات يومية تُدرَّس وتُمارَس.

إجراءات عملية:

أ. إدماج وحدة "المهارات الحياتية والمرونة" في المناهج (ابتدائي- إعدادي) تتضمن: إدارة التوتر، حلّ المشكلات، العمل الجماعي، التفكير الإيجابي الواقعي.

ب. حصص أسبوعية للتطبيق (تمثيل أدوار، محاكاة أزمات، تمارين تنفّس وتركيز) بدل الاكتفاء بالشرح النظري.

ت. تدريب المعلمين عبر دورات قصيرة مع أدلة تدريس جاهزة (سيناريوهات صفية، أنشطة تفاعلية، أدوات تقييم سريعة).

ث. برامج دعم نفسي مدرسي: مرشد/ة نفسي/ة لكل مدرسة أو لكل مجموعة مدارس، مع آلية إحالة للحالات الأكثر حاجة.

ج. مؤشرات قياس بسيطة: استبيانات دورية لقياس القلق المدرسي، القدرة على التكيّف، روح الفريق، قبل/بعد البرنامج.

2. تعزيز دور المؤسسات التعليمية في بناء الهوية

الفكرة: المدرسة ليست ناقلاً للمعرفة فقط، بل مصنع للهوية الجامعة.

إجراءات عملية:

أ. محتوى دراسي متوازن يبرز تاريخ العراق بتنوعه، ويقدّم سردية جامعة (إنجازات، نماذج صمود، قيم المواطنة).

ب. أنشطة لا صفية موجهة: نوادٍ مدرسية (خدمة مجتمعية، إعلام مدرسي، مناظرات) تعزز الانتماء والعمل الجماعي.

ت. مشاريع "خدمة المجتمع" لكل صف (تنظيف حي، حملات توعية، دعم أسر محتاجة) لربط الطالب ببيئته.

ث. شراكات مع أولياء الأمور عبر لقاءات شهرية، وأيام مفتوحة، ومجموعات تواصل منظّمة.

دليل سلوكي مدرسي يرسّخ قيم الاحترام، المسؤولية، العمل الجماعي، مع نظام تحفيز لا عقاب فقط.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

3. إعادة تفعيل دور المجتمع المحلي كحاضنة أساسية

الفكرة: الحيّ (المحلّة) هو خط الدفاع الأول في الأزمات، إذا تم تنظيمه.

إجراءات عملية:

أ. تشكيل لجان أحياء تطوعية (بإشراف إداري خفيف) تُعنى: بالإغاثة، الإيواء المؤقت، الدعم اللوجستي.

ب. خرائط موارد محلية: حصر المدارس، القاعات، العيادات، المتطوعين، وسائل النقل داخل الحي لاستخدامها وقت الطوارئ.

ت. تدريب مجتمعي قصير على الإسعافات الأولية، إدارة الكوارث، التواصل في الأزمات.

ث. صناديق تكافل محلية شفافة تُدار بآليات بسيطة (لوحات إعلان/ تقارير شهرية) لتعزيز الثقة.

ج. منصات تواصل مجتمعي (مجموعات منظمة على تطبيقات معروفة) لنشر المعلومات الموثوقة ومنع الشائعات وقت الأزمات.

4. تحويل الذاكرة الجماعية من عبء إلى مصدر قوة

الفكرة: الذاكرة ليست فقط للحزن، بل للتعلّم وصناعة المعنى.

إجراءات عملية:

أ. توثيق الشهادات الحيّة (طلاب/ أهالٍ عاشوا الأزمات) في "أرشيف مدرسي/ محلي" بصيغة مقابلات قصيرة.

ب. أيام تذكارية تربوية تُقدَّم فيها القصص ضمن إطار تعلّمي: ماذا تعلّمنا؟ كيف نتصرف أفضل؟

ت. إنتاج مواد إعلامية تربوية (فيديوهات قصيرة، بودكاست مدرسي) تحوّل القصص إلى دروس عملية.

ث. أنشطة فنية علاجية (رسم، كتابة، مسرح) لمعالجة الأثر النفسي وتحويله إلى تعبير إيجابي.

ج. ربط الذاكرة بالمستقبل عبر مشاريع: "كيف نمنع تكرار الخطأ؟ كيف نبني استجابة أفضل؟"

متطلبات التنفيذ/ شروط نجاح

أ. **تكييف محلي دقيق:** عدم استنساخ أي تجربة حرفياً، بل مراعاة التنوع العراقي (مناطقي/ ثقافي).

ب. **تنسيق مؤسسي:** تربية+ صحة+ مجتمع مدني+ إعلام محلي ضمن خطة واحدة مبسطة.

ت. **تدرّج واقعي:** بدء برامج تجريبية في مديريات محددة، ثم التوسّع وفق النتائج.

ث. **شفافية وثقة:** نشر تقارير مختصرة دورية عن الأنشطة والنتائج لبناء ثقة المجتمع.

ج. **قياس الأثر:** مؤشرات واضحة (الغياب المدرسي، سلوكيات العنف، المشاركة المجتمعية، مؤشرات القلق).

خلاصة تطبيقية

الانتقال من "مجتمع متأثر بالأزمات" إلى "مجتمع يتعلّم من الأزمات" يتطلب تحويل القيم إلى مناهج، وبرامج، وهياكل محلية، وعندما تتكامل المدرسة مع الحيّ، وتُدار الذاكرة بوعي، وتُبنى المهارات النفسية مبكراً، يصبح الصمود قدرة مكتسبة لا مجرد رد فعل عابر.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

سابعاً: قراءة نقدية

على الرغم مما تحمله التجربة من عناصر قوة لافتة، إلا أنها تبقى تجربة بشرية محكومة بسياقاتها التاريخية والاجتماعية والثقافية الخاصة، ومن ثمّ، فإن مقاربتها ينبغي أن تكون تحليلية تفكيكية لا انبهارية، تستهدف فهم البُنى العميقة والآليات المنتِجة للصمود، لا الاكتفاء بمظاهرها الخارجية. **وفي هذا الإطار، تبرز جملة من الملاحظات النقدية:**

1. **خصوصية السياق وعدم قابلية الاستنساخ الحرفي:** نشأت تجربة حZب الله ضمن بيئة لبنانية محددة (جغرافياً، ديموغرافياً، وثقافياً)، ما يعني أن نقلها إلى سياق مختلف- كالعراق- دون تكييف قد يؤدي إلى نتائج معاكسة.

الدلالة: المطلوب هو "نقل الآليات" (مثل بناء الصلابة النفسية والتكافل)، لا "نقل النموذج" كما هو.

2. **مخاطر التبسيط والانتقائية:** التركيز على جوانب القوة فقط، مع إغفال التعقيدات أو التحديات الداخلية، يُنتج قراءة ناقصة.

التحليل: كل تجربة صمود تحمل في داخلها توترات (اقتصادية، اجتماعية، تنظيمية) ينبغي دراستها لفهم الصورة الكاملة.

3. **الفجوة بين الخطاب والتطبيق:** قد يكون الخطاب العام حول الصمود والتكافل متماسكاً، لكن مستوى ترجمته على الأرض يختلف باختلاف الظروف والموارد.

الدلالة: التقييم العلمي يتطلب التمييز بين "ما يُقال" و"ما يُمارَس".

4. **احتمالية الإرهاق المجتمعي طويل الأمد:** التعرّض المستمر للأزمات، حتى مع وجود صمود، قد يراكم ضغوطاً نفسية كامنة تظهر على المدى البعيد.

الإشارة: الصمود لا يعني غياب الكلفة، بل القدرة على إدارتها، ما يستدعي الانتباه إلى برامج الدعم النفسي المستدام.

5. **إشكالية توازن الفرد والجماعة:** تغليب منطق الجماعة يعزز التماسك، لكنه قد يحدّ أحياناً من مساحة المبادرة الفردية إذا لم يُدار بشكل متوازن.

الدلالة: النموذج الأمثل هو الذي يحقق تكاملاً بين قوة الجماعة وفاعلية الفرد.

6. **تأثير المتغيرات الإقليمية والدولية:** هذه التجربة لم تتشكل في عزلة، بل تأثرت بسياقات إقليمية أوسع، ما يجعل بعض عناصرها مرتبطة بتوازنات خارجية لا يمكن التحكم بها محلياً.

وعليه، فإن القراءة النقدية الرصينة لا تهدف إلى التقليل من قيمة التجربة، بل إلى تحريرها من التقديس، ووضعها ضمن إطار علمي يسمح بالاستفادة الواعية منها. فالمجتمعات لا تتقدم عبر تقليد النماذج، بل عبر فهمها، وتفكيكها، وإعادة تركيب ما يناسبها ضمن شروطها الخاصة.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

الأستنتاجات

1. الصمود المجتمعي بوصفه نتاجاً تركيبياً متعدد الأبعاد

يتبين من تحليل التجربة أن الصمود المجتمعي ليس ظاهرة أحادية البعد، بل هو حصيلة تفاعل معقد بين العوامل النفسية والاجتماعية والمؤسساتية. فالبعد النفسي يوفّر القدرة على التحمّل وضبط الانفعالات، بينما يضمن البعد الاجتماعي وجود شبكة دعم وتكافل، في حين تؤمّن المؤسسات الإطار المنظم الذي يحوّل هذه العناصر إلى ممارسات مستدامة. وبالتالي فإن أي خلل في أحد هذه الأبعاد ينعكس مباشرة على مستوى تماسك المجتمع وقدرته على مواجهة الأزمات.

2. بناء الإنسان كمدخل استراتيجي لأي مشروع إصلاحي أو مقاوم

تشير المعطيات إلى أن الاستثمار الحقيقي لا يكون في البنى المادية فقط، بل في الإنسان ذاته بوصفه محور العملية الاجتماعية. فالمجتمعات التي تمتلك أفراداً يتمتعون بوعي وانضباط نفسي وقدرة على العمل الجماعي تكون أكثر قدرة على الصمود وإعادة البناء. وعليه فإن أي مشروع إصلاحي أو نهضوي لا يمكن أن ينجح ما لم يضع "بناء الإنسان" في صدارة أولوياته، من خلال التربية، والتعليم، وصناعة الوعي.

3. الصبر الاستراتيجي كآلية لإدارة الزمن في الأزمات الطويلة

لا يُفهم الصبر في هذا السياق بوصفه حالة سلبية أو استسلاماً، بل كمهارة استراتيجية لإدارة الزمن تحت الضغط. فالمجتمعات التي تواجه أزمات ممتدة تحتاج إلى قدرة على ضبط التوقعات، وتأجيل النتائج، والاستمرار في الفعل رغم غياب المكاسب الفورية. هذا النوع من الصبر يعزز القدرة على التكيّف ويمنع الانهيار السريع أمام الصدمات المتكررة.

4. الدور المركزي للمؤسسات التربوية والاجتماعية في صناعة الهوية

تؤكد التجربة أن المؤسسات، ولا سيما التربوية والاجتماعية، تمثل البنية الحاملة للهوية الجمعية. فهي لا تكتفي بتقديم الخدمات، بل تسهم في تشكيل الوعي، وغرس القيم، وإعادة إنتاج المعايير الاجتماعية. ومن دون هذه المؤسسات، يصبح المجتمع عرضة للتفكك وفقدان الاتجاه، خاصة في ظل الأزمات المتكررة. لذا فإن قوة المجتمع ترتبط مباشرة بفعالية مؤسساته وقدرتها على التكيّف والاستمرار.

5. إمكانات الافادة المشروطة بالتكييف لا النقل الحرفي

تكشف المقارنة بين التجارب أن الافادة من النماذج الخارجية ممكنة وضرورية، لكنها مشروطة بفهم السياقات الخاصة لكل مجتمع. فالنماذج الاجتماعية لا تُنقل كما هي، بل تُعاد قراءتها وتكييفها وفق الخصوصيات الثقافية والتاريخية والسياسية. إن الاستنساخ الحرفي يؤدي إلى نتائج غير واقعية، بينما يتيح التكييف الذكي تحويل الخبرات إلى أدوات تطوير حقيقية قابلة للتطبيق.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

الخاتمة

تكشف تجربة حZب الله عن نموذج متكامل في بناء الصمود المجتمعي، يقوم على تفاعل مركب بين الإنسان والبيئة الاجتماعية والمؤسسة، ضمن سياق تاريخي طويل من التحديات والأزمات. فهي ليست مجرد تجربة مرتبطة بالفعل السياسي أو العسكري، بل هي في جوهرها تجربة في إعادة إنتاج الإنسان داخلبيئة ضاغطة، وكيف يمكن للمجتمع أن يحافظ على تماسكه عبر الزمن رغم تكرار الصدمات.

إن أهمية هذه التجربة لا تكمن في نتائجها الظاهرة فقط، بل في آلياتها العميقة التي تربط بين التربية الاجتماعية، والبناء النفسي، والتكافل المجتمعي، والعمل المؤسسي، بما يجعل من الصمود حالة مستدامة وليست استجابة ظرفية. ومن هنا، فإن الدرس الأبرز الذي تقدمه هو أن القوة الحقيقية لا تُبنى في ميادين المواجهة وحدها، بل تتشكل في العمق الاجتماعي، حيث يُعاد تشكيل الإنسان ليصبح أكثر قدرة على التحمّل، وأكثر استعداداً للتكيّف، وأكثر ارتباطاً بجماعته.

وبذلك، فإن فهم هذه التجربة لا يهدف إلى استنساخها، بل إلى إدراك منطقها الداخلي، واستلهام ما يمكن أن يسهم في بناء مجتمعات أكثر تماسكاً، قادرة على تحويل الأزمات من عوامل تهديد إلى فرص لإعادة البناء والتماسك.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

تأسس مركز الفيض العلمي لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية في بغداد بموجب شهادة التسجيل الصادرة عن الأمانة العامة لمجلس الوزراء -دائرة المنظمات غير الحكومية المرقمة (1J775330) بتاريخ ٢٠١٢/٤/٢٦، وهو مركز علمي بحثي يهتم بإجراء الاستطلاعات والدراسات الميدانية فضلا عن إعداد الأوراق البحثية والمقالات حول قضايا الحياة المجتمعية للأسرة والمواطن، والدولة بمؤسساتها المختلفة.

- لا يجوز نشر أي من إصدارات المركز ونتاجاته العلمية الا بموافقة خطية صريحة ويمكن الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملا.
- حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز الفيض العلمي لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية

للتواصل

00964- 7710122232

Alfaidcenter2011@gmail.com

www.al-faidh.com

العراق - بغداد - الكرادة